

## الصلة بين العروبة والحركة الانقلابية

صلتنا بالماضي : هناك نفر يكاد يفهم من البعث العربي الذي هو حركة انقلابية متجهة بقوة وعنف نحو المستقبل ، انها حركة فاقدة الصلة بالماضي ، وانها تعتبر ان كل التفاتة اليه تضيع جهداً يجب ان يبذل في بناء المستقبل . . . ان في هذا تشويهاً لفكرة البعث العربي التي تميز بين الماضي كروح والماضي كشكل .  
كان يوجه للبعث العربي منذ نشوئه تهمة الرجعية ، فقد فهم الكثيرون من البعث انه ارجاع للماضي . فهموا من تعلقنا بماضيينا وشخصيتنا اننا رجعيون ومحافظون ، ثم انقلبت التهمة الى نقيضها .

اهمية التراث القومي : ان التشيع بالتراث القومي لا يعني مطلقاً العبودية للماضي والتقاليد ، ولا يعني فتور روح الابتكار والتجديد بل يعني العكس تماماً . والواقع ان الذين يفقدون روح التجديد وروح الابتكار هم الذين لا يفهمون ماضي الامة وروحها ، ولا يفهمون من ذلك الماضي وتلك الروح الا القشور والمظاهر الجامدة .  
ان اتصالنا بروح الامة وتراثها يزيد في اندفاعنا ويقوي انطلاقنا ، فلا نكون حائرين لأننا نكون واثقين ان كل شيء فينا سيأتي ملائماً لروح أمتنا . اننا عندما ننطلق من اساس متين هو التشيع بروح امتنا ، ومعرفة واضحة لانفسنا ولواقعا ، واحساس صادق بحاجاتنا ، لن نكون عرضة لأخذ الافكار المصطنعة وتقليد الآخرين ، وانما تأتي أفكارنا طبيعية ومبتكرة لانها نتيجة لشعورنا الصادق وحاجاتنا الصادقة . ان شعورنا بهذه الصلة القومية العميقة بأمتنا هو الذي يفتح عيوننا على حاضرنا الأليم وهو الذي يرينا التناقض بين واقعنا وحقيقتنا ، وهو الذي يحملنا مسؤولية انقاذ الامة وبالتالي هو الذي يوصلنا الى الانقلاب .

الصلة القومية تقود الى الانقلاب وتساعد على تحقيقه : ان الصلة القومية التي توصل الطليعة من الامة الى التفكير الانقلابي هي نفسها التي تساعد اكبر مساعدة على

تحقيق هذا الانقلاب . لاننا بانقلابيتنا نمثل ارادة الامة كلها، وهذه الارادة التي لم تتوضح بعد الا عند القليل، والتي لا تزال مبهمة عند الكثيرين نعرف انها متمثلة في حركتنا، ونعرف ان كل خطوة نخطوها ستلاقي صدى في النفوس وستحرك وترأ حساساً، وان كل يوم يمر علينا في نضالنا سيفتح عقولاً جديدة ويوقظ نفوساً جديدة . وبما اننا بنينا انقلابيتنا على صفتنا العربية، وانطلقنا الى المستقبل بنسبتنا الى أصلنا، فاننا حتماً سنتكلم اللغة التي يفهمها الشعب وحتماً سنجد سبيلاً الى سمعه وقلبه .

الانقلابيون صورة سباقه لمجموع الامة : اننا نعرف بأن هذه الفئة القليلة من الانقلابيين الذين تضمهم حركة البعث العربي هم قلة في الظاهر، قلة في البدء، ولكن صفتهم القومية الصادقة تجعلهم صورة مصغرة وسباقه لمجموع الامة . نحن نمثل مجموع الامة الذي لا يزال غافياً منكرأ لحقيقته ناسياً لهويته، غير مطلع على حاجاته، نحن سبقناه فنحن نمثله، لذلك بيننا وبينه تجاوب عميق، حتى عندما نتصارع، حتى عندما يبطش بنا، هو منسجم معنا لأن طريقه هو طريقنا الآن، وان لم يدر في الوقت الحاضر فسيعلم ذلك في المستقبل . انما ايماننا يختلف عن الايمان السحري لأنه مبني على أرسخ قواعد العلم، على الوقائع . هذه العقيدة هي اننا نمثل مصلحة الأمة واراقتها، اذن نعتد على تأييدها، وهذا التأييد الذي هو في حالة الكمون سينتقل الى حالة الظهور والفعل .

فقوانا ليست هي هذه القوى المنظورة المحدودة، قوانا لا حد لها في غزارتها . وأضيف اننا نعتد على قوة اخرى هي ان حركتنا في اتجاه التقدم الانساني . فهدفها ان ترتفع بالامة من حالة التأخر الى حالة العمل والجد والابداع، والتاريخ هو في هذا الاتجاه ونحن نمشي باتجاهه ومنطق التاريخ يقضي بأن تنهض الامة العربية وان تحتل مكاناً خلاقاً ايجابياً، وان تقوم بدورها وتنشئ، فالتاريخ ايضاً يساعدنا . هناك عدد كبير في امتنا اصبح فاقد السيطرة على نفسه وعلى رأيه ونضارة شعوره، استعبده المصالح وجمدته الاعتبارات الاصطلاحية، ففقد الحركة الحيوية اللازمة لكي يتمرد على المصالح الخاصة، لكي يتمرد على الاعتبارات الاجتماعية

الكاذبة، لأن كل تمرد من هذا النوع يهدده في مصالحه ونفوذه ووجاهته، وهو يستمد وجوده ومركزه من هذه الأوضاع والاعتبارات الزائفة لأنه لا يؤنس في نفسه القدرة على التحرر من مصالحه، فهو ينظر الى الامة بمنظار نفسيته، ويرى الامة على شاكلته عاجزة عن التحرر والتمرد على واقعها كما هو عاجز عن التمرد على واقعه. فأعداء الفكرة الانقلابية في بلادنا او الذين يتمنون ولا يستطيعون السير في طريقها، هم انفسهم أعداء القومية العربية، فلو كانت هذه الصلة حية لأنتفضوا وشعروا بألم الواقع وبعار الحاضر، ولشعروا بالمسؤولية المترتبة عليهم من ضرورة تبديل هذا الحاضر بصفتهم جزءاً من هذه الامة، ولا استطاعوا بالتالي ان يبدلوا نفوسهم وواقعهم ويتمردوا على مصالحتهم.

**صراع بين معسكرين، والظفر للانقلابيين:** عندما تتصارع فكرتان في حياة الامة، فكرة جامدة بالية وفكرة جديدة حية، عندما ينشط المجتمع الى معسكرين، احدهما يدافع عن القديم والجمود والمصالح الخاصة والثاني يدافع عن القيم الجديدة، عن التجرد والمثالية، التجرد والتضحية، يكون هذا الانقسام في الامة شكلياً وموقتاً في الواقع، لأن نفس المعسكر القديم المدافع عن الجمود والمصالح الخاصة فيه بذور امكانيات نشوء الفكر الجديد، فكأن المعسكر الثاني هو التجسيد والتوضيح لهذه البذور والامكانيات الخيرة والكامنة فيه، وكأن معسكر الجمود والنفعية والمحافظة في صراعه مع المعسكر الثاني انما يصارع نفسه ويغلبها، ويتصارع مع غرائز الخير والحياة فيه لكي تستيقظ هذه الغرائز الخيرة ولكي ينميها الصراع ويقويها ويسمح بتفتحها الكامل. ان الحركة الانقلابية في حيويتها وعنفها وصبرها وايمانها، هي التي تتمكن اخيراً من ايقاظ وتحقيق هذه الامكانيات الموجودة في نفس كل عربي. بهذا المعنى نستطيع ان نثق ونؤمن بأن معركتنا ظافرة لأن كل يوم يمضي عليها يضيف الى جيشها جنوداً أيقظهم صبرها واستمرارها واشعاعها وأرجعهم الى نفوسهم، أي الى الصف النضالي الانقلابي.

ان حركتنا انقلابية عربية، وقد بينا العلاقة بين الانقلابية والصفة القومية وقلنا ان انقلابيتنا تنبع من صلتنا القومية وشعورنا بفقر الواقع وفساده وضرورة تبديله والقيام

بانقلاب يرجع الى الامة حقيقتها ويظهر كفاءتها الحقيقية وروحها واخلاقها، والان نتساءل عن وسيلة الانقلاب؟ صحيح ان الانقلاب فكرة ولكن لابد لهذه الفكرة من اشخاص يفهمونها ويؤمنون بها ويمثلونها ثم يحققونها. اذن للانقلاب أدوات حية من البشر هم الذين يعتقدون فكرته ويناضلون في سبيل تحقيقها. وبمقدار ما يكون اعتناقهم للفكرة عميقاً ونضالهم في سبيلها صادقاً، يكون الانقلاب قوياً كاملاً. فالانقلاب اذن هو صورة للذين يؤمنون به ويعملون له، وليس هو معجزة تهبط من السماء او حادثة خارجة عن ارادة البشر وعن اعمالهم. وهذا يؤدي الى نتيجة اولى وهي ان الانقلاب يجب ان يتحقق اولاً في نفوس الفئة القليلة التي تؤمن به وتبشر به العدد الاكبر، وتعمل على تحقيقه في مجموع الامة، وكل تساهل في صدق تمثّل هذه الفضائل في نفوس الانقلابيين يهدد الحركة بالفشل والزيف. ولا يعقل ان نطلب من الامة ان ترتفع الى مستوى لانكون نحن قد بلغناه، ولا نكون قد برهنا للاخرين بانه قابل البلوغ . . .

**لا انقلاب بدون صراع:** لاشك ان الغرض الظاهر للانقلاب هو ازالة الاوضاع المصطنعة المفروضة على الامة والتي تشوهها سواء اكانت هذه الاوضاع سياسية او اجتماعية او اقتصادية. ولكن الاوضاع تتمثل في اشخاص، وهي عبارة عن عقلية اشخاص ومصالحهم وعاداتهم، يألّفون هذه الاوضاع ويحرصون عليها، ويدافعون عنها، فلا يمكن محاربة هذه الاوضاع الا من خلال الذين يتمسكون بها، ويستفيدون منها. اذن حركة الانقلاب لا بد ان تهز كل الذين يستسلمون للاوضاع الفاسدة، ولا بد ان تعاكسهم، حتى تخلق في الامة رد فعل للمرض عندما يستيقظ الفكر الحر والخلق القويم وتستيقظ الروح السليمة. فالانقلاب ليس له الا معنى واحداً واضحاً صريحاً هو الصراع والمعاكسة للعقلية والخلق والمصالح السائدة، والبعث يولد من هذا الصراع.

وأن الذين يحسبون ان مجرد تبديل في الاوضاع السياسية يوصل الامة الى هدفها يخطئون ايما خطأ، فلو فرضنا ان الاوضاع السياسية في البلاد العربية تغيرت فجأة بفعل صدفة من الصدفة، فنعتقد ان هذا التغيير لن يتناول الا الظواهر، لأن

الامة لم تقطع بعد مرحلة الصراع الذي يحرر فكرها ويقوم خلقها ويزيل التشويه عن روحها. فالواقع الفاسد ليس شيئاً مادياً متجسماً في الاوضاع السياسية او الاجتماعية فحسب، وانما هوشيء معنوي يشترك فيه الجميع بنسب مختلفة، ويمكن القول ان كل فرد يحمل أثراً من آثار هذا الواقع. فالفرد الانقلابي هو الذي يصارع هذا الواقع في نفسه قبل ان يصارعه في المجتمع والاضاع المادية. وان كل الذين لا يصارعون هذا الواقع، ويحيون حياة طبيعية هادئة مريحة هم ضمن الواقع الفاسد الذي يجب ان نحاربه، اذ لو لم يكونوا منه لوجب ان تتحول حياتهم الى ألم ونضال.

واضيف ملاحظة اخيرة وهي ان مجتمعنا المتأخر المريض يعنى وجود اكثرية ضعيفة جاهلة مستعبدة لا تقدر مسؤولياتها ولا تعي وجودها على حقيقته، لذلك تبقى الاقلية هي التي يمكن ان تتوفر فيها الوعي والشعور بالمسؤولية، وهذه الاقلية هي التي تنقسم في الواقع الى معسكرين: المعسكر الانقلابي، والمعسكر النفعي والمعاكس لكل تجدد ولكل تبديل عميق في حياة المجتمع. فالمشكلة في مجتمعنا اذن هي مشكلة القيادة، مشكلة الافراد الذين تتوفر فيهم الشروط لقيادة المجتمع. واذا كان مجتمعنا ما زال متأخراً حتى الآن فلأن هؤلاء الافراد لا يحققون في انفسهم الشروط الفكرية والاخلاقية والروحية اللازمة للمء مركز القيادة، والصراع هو بين القادة الصادقين والقادة الكاذبين.

١٠ أيلول ١٩٥٠